العرب
الأربعاء 2021/10/06
السنة 44 العدد 12201

شتاء المناطق الجبلية في لبنان قارس بلا تدفئة

راشيا الوادي (لبنان) - يتساءل المواطن الخمسيني خالد حامد، القاطن مع عائلته في بلدة الرفيد الجبلية التي ترتفع عن سطح البحر 1200 متر، عن السبل الكفيلة بتأمين لوازم التدفئة في فصل الشتاء التي باتت هما ومشكلة مستعصية في ظل تردي الوضع الاقتصادي والارتفاع غير المسبوق في أسعار وقود الديزل والحطب.

حامد الذي بدا حائرا ومرتبكا -وهو عامل في مزرعة دجاج براتب شهري لا يتجاوز مليونا و500 ألف ليرة لبنانية (ما يساوي نحو 85 دولارا أميركيا، بحسب سعر الصرف في السوق السوداء)- أكد لوكالة أنباء شينخوا أنه لم يتمكن من توفير أية كمية من الديزل أو الحطب لمواجهة برد الشتاء بسبب عجزه عن دفع ثمنها الباهظ، كما هي حال نسبة كبيرة من قاطني المناطق الجبلية الذين بالكاد يقدرون على تأمين لقمة العيش لعيالهم.

وقال "ليس بمقدوري شراء صفيحة الديزل بـ14 دولارا أو طن الحطب بـ100 دولار في حين بات البرد الذي لا يرحم يدق الأبواب".

257

دولارا أميركيا سعر طن من الحطب يكفي للتدفئة حوالي شهر كحد أقصى

وأوضح أن متوسط حاجة العائلة إلى التدفئة في المناطق الجبلية يتراوح بين 8 و10 براميل من الديزل سنويا لتصل تكلفة التدفئة في موسم البرد إلى حوالي 1500 دولار، أي بما يزيد عن راتب عام كامل لصاحب الدخل المحدود.

وكانت وزارة الطاقة والمياه اللبنانية قد أعلنت في الثاني والعشرين من سبتمبر الماضي عن زيادة في أسعار الوقود في السوق المحلية بنسبة 16 في المئة، علما بأن أسعار الوقود ارتفعت خلال أقل من عام إلى ما يفوق 7 أضعاف.

وأتت هذه الزيادة في وقت بات فيه الفقر يؤثر على 74 في المئة من إجمالي السكان في لبنان، بحسب دراسة حديثة أجرتها مؤخرا لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا).

ويترافق ذلك مع انهيار الليرة اللبنانية وارتفاع أسعار مختلف المواد الحياتية بنسبة 400 في المئة، في حين سجل التضخم السنوي 85 في المئة تقريبا، إضافة إلى أن مئات الآلاف خسروا وظائفهم إثر تدهور الوضع الاقتصادي وتفشي فايروس كورونا وكارثة انفجار مرفأ بيروت.

وتفصل اللبنانيين أسابيع محدودة عن موسم الشتاء ولوازم التدفئة التي تبدو مستعصية في ظل الانهيار الاقتصادي الأكبر في تاريخ البلاد وهبوط قيمة الليرة.

وباستثناء المدن الساحلية اللبنانية الواقعة على شاطئ البحر المتوسط تبقى معظم المناطق اللبنانية الداخلية -بوديانها وجبالها وسهولها التي ترتفع ابتداء من 300 متر عن سطح البحر- في حاجة ماسة إلى التدفئة بوصفها من ضروريات الحياة ولا يمكن الاستغناء عنها في فصل الشتاء.

وقالت القاطنة في بلدة "عيحا" شرق لبنان الغربي التي تعلو 1450 مترا عن سطح البحر سلوى أبوداود -وهي ربة منزل وأم لأربعة أطفال أصغرهم لا يتجاوز 9 أشهر- "اعتدنا في أواسط صيف كل عام تأمين وقود التدفئة في الشتاء، لكن أزمة انقطاع الوقود حالت دون ذلك".

وتساءلت "كيف نحمي أطفالنا من البرد في ظل الثلوج التي تتراكم في بلدتنا لعدة أسابيع بسُمك يتجاوز 80 سنتيمترا".

وأضافت "جاء قرار الحكومة برفع الدعم كليا عن الوقود بمثابة الضربة القاضية لأهالي المناطق الجبلية الذين أصبحوا غير قادرين على شراء مادة الديزل بأسعارها الجديدة المرتفعة مما سيعرض حياة العائلات للخطر، حيث بات ثمن صفيحة الديزل نحو 245 ألف ليرة لبنانية في وقت يبلغ فيه الحد الأدنى للأجور في لبنان 675 ألف ليرة لبنانية".

بدوره قال جمال اللقيس -الذي يعيش مع عائلته المؤلفة من 7 أفراد في بلدة "جب جنين" الجبلية- إنه حاول شراء طن من الحطب للتدفئة لكنه فوجئ بسعره البالغ 4.5 مليون ليرة (ما يوازي نحو 257 دولارا أميركيا) للطن الواحد الذي يكفيه حوالي شهر كحد أقصى.

وأضاف "كل خيارات تأمين وقود الشتاء أصبحت صعبة، وقد توجهت مرغما لشراء الديزل على دفعات في خيار صعب بين الموت بردا أو الموت جوعا".

أما نايف رافع العامل في تجارة حطب التدفئة منذ 20 عاما فقال إن "سعر طن الحطب العام الماضي كان 750 ألف ليرة، أما اليوم فقد تجاوز 4 ملايين ليرة تبعا لنوع الحطب".

وأضاف "هذا الواقع المرير دفع أهالي القرى الجبلية للتوجه إلى الأحراج والغابات لقطع أشجارها، فيما عمد القسم الأكبر إلى تقليم أشجار بساتينهم وتحطيب بعضها لاستغلالها كوقود لنار التدفئة".

من جهته أكد الستيني أحمد عواد من بلدة "راشيا الوادي" على أنه ينتظر مساعدات بعض الجمعيات الخيرية والبلديات على أمل قيامها بتوزيع مادة الديزل بالمجان على العائلات الأكثر فقرا.

وأضاف أنه "في حال لم تصل هذه المساعدات سيكون هو وأفراد عائلته الخمسة أمام خيار وحيد وهو الحماية من البرد بالملابس الصوفية وتمضية الشتاء تحت البطانيات"، مشيرا إلى أن الكثير من العائلات لن تجد سوى هذا الخيار لتمضية الشتاء.

ويعاني لبنان منذ عام 2019 من أزمات مالية واقتصادية وصحية ومن تدهور معيشي متصاعد وانهيار قيمة الليرة اللبنانية وتآكل المداخيل والمدخرات، إضافة إلى ارتفاع نسبة البطالة والفقر وتراجع قدرة اللبنانيين الشرائية إثر ارتفاع أسعار السلع الاستهلاكية بنسبة 74 في المئة.

من لا يملك المال يتجمد

المعاناة يومية

عجلات الدراجات الهوائية تدور في لبنان

أزمة الوقود تُعطل الحياة في بلاد تكتظ بالفقراء

تتراكم الأزمات على كاهل اللبنانيين، ورغم أن بعضهم اختار الهجرة، ما يزال البقية يواجهون المصاعب اليومية في ظل غلاء مشط وفقدان المواد الأساسية كالوقود الذي استعاض عنه بعض اللبنانيين بالدراجة الهوائية التي أصبحت وسيلة نقلهم بعد أن كان ركوبها هواية يمارسونها في أوقات فراغهم.

من الهواية إلى الضرورة

بيروت - لطالما كان ركوب الدراجة الهوائية في لبنان مجرد هواية، إلا أن الأزمة الاقتصادية جعلته حاجة يومية في زمن شح البنزين وارتفاع أسعاره في البلاد.

وفيما يرزح اللبنانيون تحت واقع معيشي واقتصادي صعب، بات قسم كبير منهم يعتمد على الدراجة الهوائية كوسيلة للتنقل بدلاً من السيارة.

ففي غضون عام واحد منذ سبتمبر 2020 حتى الشهر ذاته من 2021 ارتفعت أسعار الوقود في لبنان نحو 9 أضعاف على وقع أسوأ أزمة اقتصادية في تاريخ هذا البلد.

ويركن الشاب محمد سعود سيارته منذ عدة أسابيع وقرر استبدالها بدراجة هوائية للتنقل في العاصمة بيروت، بعدما أصبح سعر صفيحة البنزين يعادل نحو ثلث الحد الأدنى للرواتب.

وقال سعود إنه بات يعتمد على الدراجة للتنقل إلى عمله والنادي وإلى أماكن أخرى في المدينة.

ويبلغ الحد الأدنى للرواتب 675 ألف ليرة (نحو 39 دولارا وفق السوق السوداء)، إلا أن الحكومة لم تعدله بعد رغم انهيار العملة المحلية بشكل غير مسبوق.

وكان سعر صفيحة البنزين (20 لترا) في سبتمبر 2020 يبلغ نحو 25 ألف ليرة (حوالي 1.5 دولار بالأسعار الحالية في السوق السوداء)، أما سعرها اليوم فقد أصبح نحو 207 آلاف ليرة (حوالي 12 دولارا)، إثر تخفيف الحكومة دعم استيراد الوقود تدريجياً.

وأشار سعود إلى انه لا يستخدم سيارات الأجرة نظراً لارتفاع تكلفتها بنحو 10 أضعاف عن السابق، حيث أصبحت كلفة سيارة الأجرة داخل بيروت 20 ألف ليرة بعدما كانت ألفي ليرة قبل الأزمة.

وتابع "سواء استخدمت سيارتي الخاصة أم سيارة الأجرة العمومية، فإن التكلفة الشهرية للمواصلات تصل إلى مليون و700 ألف ليرة لبنانية (100 دولار وفق سعر السوق الموازية)".

وتتألف وسائل النقل العمومية في بيروت من سيارات الأجرة إضافة إلى حافلات صغيرة، فيما تفتقد المدينة إلى وسائل النقل الجماعية الأخرى كالمترو أو القطار وهي عادة أقل كلفة، ما يزيد من صعوبة التنقل بين المناطق.

وقال خليل هبري، مدير في إحدى الشركات بالعاصمة بيروت، إنهم بدأوا يستشعرون خطر أزمة الوقود وتداعياتها على حركة الناس منذ أكثر من 5 أشهر.

وفي محاولة لمواجهة تلك الأزمة خصصت الشركة مكاناً إضافياً في مبناها يتيح للموظفين الذي يتنقلون عبر الدراجة، الاستحمام في الشركة عقب وصولهم واستبدال ملابسهم الرياضية، بحسب هبري.

وقال هبري، الذي بدوره يستخدم الدراجة الهوائية يومياً للتنقل من منزله في الأشرفية شرق بيروت إلى مقر الشركة في الحمرا (غرب)، إن شركته تحاول قدر المستطاع تشجيع ومساعدة موظفيها على استخدام الدراجة الهوائية.

وأضاف أنه فضلا عن توفير ثمن شراء البنزين، فإن الدراجة الهوائية توفر الوقت أيضا كونها تستطيع تفادي زحمة السير التي تعاني منها بيروت خلال ساعات النهار.

التنقل بالدراجات الهوائية يواجه بعض الصعوبات في بيروت نظرا إلى عدم تجهيز البنى التحتية وتخصيص ممرات آمنة

وتوقع أن يلجأ المزيد من اللبنانيين إلى الدراجة الهوائية في هذه المرحلة لأنهم باتوا مجبرين على ذلك، ولا يوجد بديل آخر.

وانتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي صورة زكي سليمان ظهر فيها وهو يرتدي زي راكبي الدراجات الهوائية الرياضية، وبين ذراعيه المولود الذي أشرف على عملية ولادته.

ومع علمه بموعد ولادة السيدة أم الطفل الذي بين يديه، اضطر إلى ركوب دراجته من منطقة عين سعادة في جبل لبنان نزولا نحو بيروت حتى يصل في موعده، خاصة وأنه لم يتمكن من الحصول على البنزين، ولم يكن لديه الوقت الكافي للوقوف في الطوابير.

وبعد أن تمت العملية بنجاح قرر أن يلتقط صورة مع المولود، معلقا "احتفظ بهذه الصورة أيها الصغير ففي يوم من الأيام سيخبرك والدك أن طبيبك جاء على متن دراجة هوائية لتأمين ولادتك. ولدت في زمن شح البنزين والأدوية والكهرباء والطعام وفي بلد 90 في المئة من مواطنيه بلا كرامة".

ولا يقتصر ركوب الدراجات على الرجال فقط بل أصبحت وسيلة نقل النساء خاصة الشابات منهن. وتقول الشابة ميرنا "من يريد أن يعرف قيمة الدراجة الهوائية هذه الأيام فما عليه إلا أن يمر بجانب طابور انتظار البنزين، سيصفقون له لأنه حسم الأمر وترك سيارته في البيت".

وقالت ناديدا رعد من مؤسسي جمعية "تشين إيفيكت" التي تشجع على ركوب الدراجات في بيروت وتقدم تسهيلات لمن يرغب في ذلك "لا خيار آخر حاليا غير الدراجة الهوائية بالنسبة إلى الكثير من الناس".

وأوضحت أن جمعيتها تتلقى رسائل كثيرة من مواطنين يرغبون في استخدام الدراجة الهوائية كوسيلة نقل بدلا من السيارة، مشيرة إلى أن الجمعية بدورها تقدم لهم النصائح والإرشادات حول ذلك.

هذا الواقع بات ينعكس مؤخرا في حركة لافتة للدراجات الهوائية في شوارع العاصمة خصوصا في ساعات العمل، وفق رعد.

وأضافت "سير الدراجات على الطرقات في بيروت لا يخلو من بعض الصعوبات اللوجستية، وهذا ما تعاني منه الكثير من الدول نظرا إلى عدم تجهيز البنى التحتية وتخصيص ممرات آمنة".

لكنها توضح بأن "استعمال الدراجة في قلب بيروت ليس خطراً بقدر ما كنا نعتقد"، مشيرة إلى أن "اليوم هناك فرصة الانتقال نحو هذا النوع من النقل المستدام والصديق للبيئة والإنسان".

لكن كيف سيواجه اللبنانيون أزمة الوقود مع حلول فصل الشتاء مع الانقطاع المتواصل للكهرباء؟ هل سيلجأون إلى الحطب في المدن التي تحتوي على مساكن ملتصقة وبنايات شاهقة؟